الأوضاع العامة في بلاد المغرب قبل الاسلام

م.م. محمد فاتح ابراهيم عبد الهادي

وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية بغداد الرصافة الثانية

mohammedalzubaidi٣@gmail.com

الملخص:

نسعى من خلال بحثنا هذا في تسليط الضوء على فترة مهمة من فترات بلاد المغرب وهي الفترة التي يمكن أن نطلق عليها مجازياً (الفترة المُظلمة) في تاريخ تلك البلاد إذا ما قارناها مع فترة الحكم الاسلامي للمغرب إذ انتقلت البلاد من حال البلاد الضعيفة القابعة تحت شتى أنواع السيطرات (الوثنية – التعددات الإثنية – العسكرية الأجنبية) إلى حال البلاد الحرة التي ينعم أبناؤها بالعدل والمساواة والوحدة الإسلامية الأمر الذي مكنها لتكون نواةً (جغرافية وبشرية) لاجتياز الإسلام الى ما عرف قديماً بأعمدة هرقل (مضيق جبل طارق) والنفاذ الى أوربا.

الكلمات مفتاحية: (الأوضاع العامة، بلاد، المغرب، قبل الإسلام).

General conditions in the Maghreb before Islam

Mohamed Fateh Ibrahim Abdel Hadi

Ministry of Education / General Directorate of Education, Baghdad, Rusafa II

Abstract

Through our research, we seek to shed light on an important period of the Maghreb countries, which is the period that we can figuratively call (the dark period) in the history of those countries if we compare it with the period of Islamic rule in Maghreb, as the country moved from a state of weak countries languishing under various types of Dominations (paganism -ethnic pluralities -foreign military) to the state of free countries whose people enjoy justice, equality and Islamic unity, which enabled it to be a nucleus (geographical and human) for Islam to cross what was known in the past as the Pillars of Hercules (the Strait of Gibraltar) and to reach Europe.

Keywords: (general conditions, countries, Maghreb, before Islam).

أهمية البحث:

تكمن أهمية بحثنا في تسليط الضوء على بلاد المغرب وأوضاعها العامة قبل تشرفها بقدوم الاسلام اليها والمسلمين الذين بذلوا كل غالٍ ونفيس في سبيل اسلمتها وتحريرها من مظاهر الحياة العبثية التي عاشها سكانها والذين عُرف عنهم عبادة الأصنام والظواهر الطبيعية فضلاً عن ممارستهم لبعض الطقوس الغربية وكما سنوضح ذلك خلال صفحات هذا البحث.

أهداف البحث:

ان الغاية الرئيسية من بحثنا هي الرجوع الى جذور بلاد المغرب وتركيبتها الاجتماعية وطبيعة الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية لتلك التركيبة ناهيك عن تحديد الموقع الجغرافي والأقوام المسيطرة على تلك البلاد، كل ذلك وغيره نحاول ايضاحه من خلال عدة محاور هي:

١- تحديد موقع البلاد جغرافياً.

٢- بيان اشتقاق كلمة (المغرب) وعرض أهم الآراء بخصوصها.

٣- توضيح التركيبة السكانية للبلاد وعناصرها فضلاً عن طبيعة النظام الاجتماعي السائد هناك آنذاك (النظام القبلي).

٤- تسليط الضوء على أبرز العبادات المغربية ومعتقدات أهل تلك البلاد.

٥- توضح النشاطات الاقتصادية للمغاربة أثناء الفترة قيد البحث.

٦- عرض لأهم السيطرات الاجنبية التي تعاقبت على حكم تلك البلاد.

المقدمة:

مثلت بلاد المغرب أهمية كبيرة للأيديولوجية الإسلامية مما دعا الدولة العربية الإسلامية لبذل ما يقارب النصف قرن من زمن (تاريخها الجهادي) من أجل ضم ذلك الجزء من العالم الى حضيرة الاسلام يدفعهم الى ذلك الدافع الجهادي من جهة وتأمين حدود الدولة العربية الإسلامية من جهة ثانية.

ان ما تقدم كان بمثابة خط شروع لنا انطلقنا منه نحو البحث والتقصي عن طبيعة وأوضاع بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي المُبارك لها ساعين من خلال بحثنا الى توضيح لأهم الجوانب الحياتية لتلك البلاد قبل إسلامها.

ولا يخفى على الباحث في مجال تاريخ بلاد المغرب أن ما كُتب حول فتح تلك البلاد ليس بقليل؛ بعكس الكتابات التي تناولت الفترات البعيدة عن الفتح الإسلامي فقد اتسمت بالقلة والسبب يرجع في ذلك الى ان البعض يرى ان هذه المنطقة أو البلاد لم تكن عربية آنذاك وهو في رويتهِ تلك مُجانب للصواب لأن الفينيقيون* عرب الأصل سكنوا تلك البلاد، وهذا ما سوف نوضحه لاحقاً.

وعليه فقد ظهرت رغبتنا بالبحث في طبيعة وحياة تلك البلاد وسكانها ولأغلب جوانبها قبل أن يدخلها الإسلام.

وتجدر الاشارة بنا هنا الى وجود بحث يقترب من عنوان بحثنا نوعاً ما والموسوم بـ(بلاد المغرب قبيل الاسلام) للباحثة ايمان شعبان، غير انه يختلف في محتواه وفحواه، التي اقتصرت على الفترة التي سبقت دخول الاسلام بقليل، فضلاً عن اننا جئنا برؤى وخطة تختلف عن ذلك؛ فقد ارتأينا أن نذهب ببحثنا هذا الى جذور تلك البلاد وتركيبتها الاجتماعية وطبيعة الحياة السياسية والدينية والاقتصادية لتلك التركيبة.

كما ويود الباحث التنويه الى أن بلاد المغرب قبل إسلامها مرت بفترات يمكن القول عنها بأنها فترات مترابطة لا يمكن تجزئتها وبناءً على ذلك صيغت مفردات عنوان البحث.

واستخدمنا أثناء عملية طرح المادة المنهج السردي فضلاً عن المنهج الوصفي.

هذا وقد واجهتنا البعض من الصعوبات في عملية البحث والتحري عن المادة العلمية أبرزها الندرة في المصادر التاريخية التي تتناول بلاد المغرب وأوضاعها العامة قبل الفتح الاسلامي لها.

اشتمل بحثنا هذا على ثلاثة مباحث جاء الأول بعنوان (الأوضاع الاجتماعية لبلاد المغرب قبل الإسلام) تناولنا من خلاله بلاد المغرب اصطلاحاً وجغرافيةً وسكاناً بفرعيهم (الأصلي

* الفينيقيون: وهم من القبائل العربية التي هاجرت الى ما عُرف اصطلاحاً بمنطقة الهلال الخصيب في الألف الثالث قبل الميلاد، غير ان موطنهم الأصلي اختلف المؤرخون في تحديده، فضلاً عن انهم الكنعانيون أنفسهم عند اليونان. ينظر: (مهران، ١٩٩٠، ص١٥٥؛ السعيد، ٢٠٠٤، ص٩٦).

والطارئ) ثم تحدثنا عن معتقدات المغاربة القدماء وطقوسهم لنتحول بالحديث بعدها عن النظام القبلي السائد آنذاك في تلك البلاد.

أما المبحث الثاني فقد تناول (الأوضاع الاقتصادية لتلك البلاد قديماً من حيث النشاط الاقتصادي) فضلاً عن النشاط العمراني.

فيما اشتمل المبحث الأخير على (الأوضاع السياسية لتلك البلاد وكيف مرت البلاد بسلسلة من السيطرات السياسية المتعاقبة حتى بزوغ شمس الاسلام).

المبحث الأول

الأوضاع الاجتماعية لبلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي

أولاً- بلاد المغرب اصطلاحاً وجغرافيةً

قبل البدء في الحديث عن أوضاع المغرب اجتماعياً لابد لنا من بيان أصل تسمية بلاد المغرب فقد ذُكر ان المقصود به هو الأرض الواقعة في جهة غروب الشمس (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ج٦، ص١٢٨)، وهذا يعني انه مصطلح عام قُصد به البلاد الواقعة في اتجاه غروب الشمس عكس البلاد الواقعة في اتجاه شروقها والتي سُميت وفقاً لذلك بالمشرق.

أما الكتّاب فقد أطلقوا مصطلح المغرب على جميع الأقاليم التي تلي حدود مصر الغربية وصولاً الى الحيط الأطلسي وهي كل من (ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب حالياً – وموريتانياً). (زغلول، ١٩٩٣، ج١، ص٦١).

وهنا نشير بأن هذا التجديد أو التعريف قد استند على حقائق انسانية ذات مظاهر سُلالية واقتصادية واجتماعية فضلاً عن عوامل تاريخية ناتجة عن وحدة التراث والفكر (ابن عبد الله، ١٩٦٣، ج١، ص٧).

عُرفت بلاد المغرب في العصور القديمة بأسماء أخرى أبرزها اسم (أفرى). (مؤنس، د.ت، ص١)، الذي أطلقه عليها الفينيقيون وعنهم أخذها اليونان (سالم، ١٩٩٩، ص٣٩) فأطلقوها على السكان القاطنين في الأرض الممتدة من غرب مصر حتى المحيط الأطلسي ومنها اشتُق اسم افريقية (مؤنس، د.ت، ص١).

أما فيما يتعلق بجغرافية تلك البلاد وموقعها الفلكي فانها تقع ما بين دائرتي عرض (٢٨°-٣٦° شمالاً) وخطي طول (٨° - ١٣° غرباً)، يحدها من جهة الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب الصحراء الكبرى أما من الجهة الشرقية فتحدها بلاد الجزائر في حين يحدها من الجهة الغربية المحيط الأطلسي بمساحة كلية تقدر بـ٤٥٠,٠٠٠ كيلومتر مربع (الحسني، ٢٠١٧، ص٧).

وتشكل بلاد المغرب وحدة جغرافية وبشرية مميزة ومنفصلة عن سائر البلدان (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ج٦، ص١٢٨)

ويمكن تقسيم تلك البلاد وفق طبيعتها الجغرافية الى ثلاثة أقاليم رئيسية هي:-

الأول/ الإقليم الساحلي:- الذي يمتد على طول شواطئ البحر الأبيض المتوسط أغلب مناطقه سهلية صالحة للزراعة (ابن منصور، ١٩٦٨، ج١، ص٩).

الثاني/ الإقليم الجبلي:- تخترق البلاد المغربية سلسلة جبلية عُرفت قديماً باسم جبال (درن) أما حديثاً فسميت بـ(جبال الأطلس) وهي بثلاثة أجزاء حسب تقسيم الجغرافيين (الأطلس الساحلي – الأطلس التلي – الأطلس الصحراوي)؛ توصف تلك الجبال بأنها شاهقة الارتفاع وعرة الدروب صعبة المسالك تُغطي قممها الثلوج خلال فصلي الشتاء والربيع كما تتخللها البحيرات والشلالات البديعة. (ابن منصور، ١٩٦٨، ج١، ص٨)

الثالث/ الإقليم الصحراوي:- ويمتد من واحات برقة مروراً بفزان وزويلة ثم ووارجلا وسجلماسة حتى وادي درعة لتصل الى المحيط الأطلسي وتتخلل هذه المنطقة عدد كبير من الواحات وينابيع المياه على الرغم من الصبغة الصحراوية لها. (ذنون، وآخرون، ٢٠٠٤، ص١٥)

كما يوجد في المغرب هِضاب موحشة مُحجرة تعرف باسم الحمادة. (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ج٦، ص١٣١) وصفت بأنها أراضي حرشة وحشة غير خصبة تفتقر للمياه (زغلول، ١٩٩٣، ج١، ص٧٤).

ثانياً- سكان بلاد المغرب

بعد أن تحدثنا عن مصطلح المغرب وأصله وعن الموقع الفلكي والجغرافي لتلك البلاد أصبح لزاماً علينا من أجل توضيح الصورة أكثر أن نُبين أصناف السكان التي عاشت في تلك الحدود الجغرافية؛ ومن خلال عملية البحث يمكن أن نقسم سكان بلاد المغرب كما يأتي:-

أ- السكان الأصليون (البربر)

يعد البربر أقدم من سكن بلاد المغرب فهم الذين "ملأوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره، يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر، ويظعن أهل العِز منهم والغلبة لانتجاع المراعي، فيما قرب من الرحلة، لا يجاوزون الريف الى الصحراء والقفار الأمس، ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج، وبما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب، ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة، ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والاظعان في نتاج الإبل وظلال الرماح وقطع السابلة، ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء بالأكسية المعلمة ويفرغون عليها البرانس الكحل، ورؤوسهم في الغالب حاسرة، وربما يتعاهدونها بالحلق..".

(ابن خلدون، ٢٠٠٠، ج٦، ص١١٦)

ومن خلال النص الآنف الذِكر قدم لنا ابن خلدون وصفاً متناهي الدقة عن طبيعة هؤلاء البربر في السكن والمعاش والمأكل والملبس.

وعليه فقد أصبح جلياً لنا أن أقدم من سكن تلك الرقعة الجغرافية (المغرب) هم البربر وعمروا في البلاد واستوطنوها لغاية دخول الروم اليها عندها انتقل البربر للعيش في ضواحي وكهوف جبال تلك البلاد (السلاوي، د.ت، ج١، ص١٢٢). وعليه يمكن أن نسميهم بسكان البلاد الأصليين.

أما عن أصل تسمية البربر بهذا الاسم فقد تعددت آراء المؤرخين فيها فمنهم من نسّبها الى اللغة فالبربرة عند العرب هي الاختلاط في الأصوات غير المفهومة فقد قيل انه عندما غزا بلاد المغرب أحد ملوك دولة حَميّر التبابعة وهو افريقش بن قيس بن صيفي رأى سكان البلاد الأصليين وسمع رطانتهم قال "ما أكثر بربرتكم" ووفقاً لذلك سُميوا بربراً (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ج٦،

ص١١٧)، وفي السياق نفسه نجد من يرى ان الاسم اشتُق من كثرة استعمال هؤلاء الأقوام لحرفي الراء والباء في لغتهم وهذا ما لاحظه العرب عنهم (زغلول، ١٩٩٣، ج١، ص٨٠).

ومن المؤرخين من يُنسب التسمية الى أحد أجدادهم المسمى برّ أو بربر (البكري، ١٩٩٢، ج١، ص٣٢٩) الذي نشب بينه وبين أحد اخوته خلاف خرج بسببه فاراً منه الأمر الذي دعا اخته تماضر أن تقول فيه (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ج٦، ص١٢٤).

لتبكي كلُ باكيةٍ أخاهـــا كما أبكي على بر بن قيـــس

تحمل من عشيرته فأضحى ودون لقائه أنضاء عيـــــس

ومما ينسب الى تماضر أيضاً في وصف أخاها برّ (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ج٦، ص١٢٤).

وشطت ببر داره عن بلادنا وطوح بر نفسه حيث يمما

وازرت ببر لكنة أعجميـة وما كان بر في الحجاز بأعجما

كأنا وبرا لم نقف بجيادنـا بنجد ولم نقسم نهاباً ومغنمـــا

ومما يبدو لنا من خلال الأبيات الشعرية الآنفة الذكر ان لبّر لهجة في الكلام ميزته عن غيره الأمر الذي جعلنا نُرجح ان أصل التسمية أتت من خلال اللهجة الكلامية.

ومن الجدير بالذكر هنا إن سكان بلاد المغرب الأصليون كانوا يأنفون عن تسميتهم بالبربر والسبب في ذلك أن هذه التسمية بحسب اللغة اللاتينية تشير الى القدح ومعناها الهمج المتوحشون (الدارودي، ٢٠١٢، ص٢١) ويفضلون أن يطلقوا على أنفسهم اسم الأمازيغ ومعناها الرجل الحر بحسب لغتهم فضلاً عن تسميتهم بأسماء قبائلهم (ابن منصور، ١٩٦٨، ج١، ص٢٦٤).

ونقول هنا بأنه لا ضير من اطلاق أيّاً من الاصطلاحين سواء البربر كما كان يُطلق عليهم الأغلبية أو الأمازيغ كما يحبون أن يناديهم الآخرين اذا كانت كلا التسميتين توصلنا الى المعنى المقصود وهم سكان البلاد الأصليون.

ينقسم البربر الى قسمين رئيسيين بحسب تقسيمات النسابين والمؤرخين وهم كل من البرانس الذين يعتمدون المعيشة الحضرية المستقرة، والبتر الذين وصفوا بكونهم بدوٍ رُحّل (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ج٦، ص١١٧-١١٨).

وصف هؤلاء البربر بصورة عامة بكونهم من أصحاب الهمة العالية والقدرة الكبيرة لاسيما في القتال (العمري، ٢٠٠٢، ج٥، ص١٨٩)، كما وصفوا بأنهم كانوا يدينون بأديان مختلفة وثنية الاتجاه (السلاوي، د.ت، ج١، ص١٢٢).

ب- السكان الطارئون (الأقليات) وهم:-

١- الأفارقة:- سكن الأفارقة بلاد المغرب الى جانب البربر إذ وجدهم المسلمون عند فتحهم لتلك البلاد (ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص١٣-١٤) وقد اختلطوا بالروم فضلاً عن دخولهم في خدمتهم الأمر الذي أدى الى تأثرهم بعادات وتقاليد أولئك (الروم) كما واعتنقوا النصرانية قبل اسلام الكثير منهم بعد الفتح المبارك غير أنهم استمروا محافظين على لغتهم الموصوفة بأنها مزيج بين اللاتينية والبربرية (زغلول، ١٩٩٣، ج١، ص١٠٦).

٢- اليهود:- وُجدت جماعات يهودية قبل الفتح العربي الاسلامي ولا يمكن تحديد الفترة الزمنية لدخول اليهودية الى المغرب على الرغم من أن البعض يذكر ان اليهودية جاءت مع التوسع الفينيقي في البلاد وازدادت أعدادهم في أيام الحكم الروماني للبلاد (زغلول، ١٩٩٣، ج١، ص١٠٦-١٠٧).

هذا وقد مارس اليهود أعمال التجارة والربا بين سكان البلاد (ذنون طه، وآخرون، ٢٠٠٤، ص٢٨).

٣- الروم:- وهم من بقايا السيطرة الرومانية الذين آثروا البقاء في المغرب بعد الفتح الاسلامي له إذ دخل البعض منهم الإسلام أما الغالبية فقد ظلوا على معتقداتهم القديمة، عرفوا بأنهم كانوا يعيشوا في جماعات مستقلة عن البربر في الغالب باستثناء بعض حالات الامتزاج بين الجماعتين الذي لم يتجاوز التحالف (زغلول، ١٩٩٣، ج١، ص١٠٩).

٤- السودان:- أطلق كتاب اليونان القدماء اسم الأحباش (الاثيوبيين) على سكان الأقاليم الجنوبية من المغرب، وفسر البعض من المحدثين ان المقصود بالاثيوبيين هم (السودان)، (زغلول، ١٩٩٣، ج١، ص١٠٨).

وبسبب العلاقة الجغرافية الوثيقة ما بين المنطقتين أصبح وجود السودان في المغرب أمراً طبيعياً (ذنون، وآخرون، ٢٠٠٤، ص٢٧) إذ عملت واحات الصحراء على أن تكون همزة

وصل بين المنطقتين ومزج بين العنصرين (الأبيض والأسود) (خطاب، ١٩٨٤، ج١، ص٢٠) إذ عملت واحات الصحراء على أن تكون همزة وصل بين المنطقتين ومزج بين العنصرين (الأبيض والأسود) (خطاب، ١٩٨٤، ج١، ص٢٠) هذا واستمرت العلاقة ما بين الطرفين في العصور الاسلامية بل نمت وازدهرت.

(ذنون طه، وآخرون، ٢٠٠٤، ص٢٧)

ثالثاً/ معتقدات المغاربة القدماء وطقوسهم

لم تكن لدى أهل المغرب قبل الفتح الاسلامي لها أية أفكار معينة عن الإله أو مصير الانسان حالهم في هذا حال المجتمعات البدائية فجُلّهم كانوا مجوساً أو عبدة للشمس والقمر والبعض منهم كان قد تهود أو تنصر. (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ج٦، ص١٢٣)

أما عن الوثنية فقيل ان بعض القبائل كانت لهم صنم من الحجارة اسمه (كرزة) مبني على ربوة كانوا يقدمون له القرابين من أجل التبرك به والاستشفاء من أمراضهم بحسب قناعتهم (البكري، ١٩٩٢، ج٢، ص٦٦٠).

هذا كان للبعض من القبائل المغربية القاطنة في جبال الاوراس الافريقية (الحموي، ١٩٩٥، ج١، ص٢٧٨) وعلى رأسهم ملكتهم المسماة بالكاهنة*، صنم من الخشب خاص بهم يعبدونه وتحمله معها أينما ذهبت (المالكي، ١٩٨٣، ج١، ص٥٤).

كما وعبد البعض من القبائل المغربية انواع من الحيوانات كالأكباش (البكري، ١٩٩٢، ج٢، ص٨٥٣).

أما فيما يتعلق بالطقوس الغريبة لسكان المغرب القدماء فمنها بذلهم أولادهم للأضياف النازلين بهم (ابن حوقل، ١٩٣٨، ج١، ص٩٥).

* الكاهنة: وهي ملكة جبال أوراس الافريقية، أطاعها قومها البربر حدَّ العبادة حتى انهم كانوا ينسبون اليها بعض الأعمال الخارقة، وكانت نهايتها على يد القائد المسلم حسان بن النعمان سنة ٨٣هـ/ ٧٠٢م. ينظر: (المالكي، ١٩٨٣م، ج١، ص٥٥؛ ابن عذارى، ١٩٨٣، ج١، ص٣٨).

كما وعرف عن سكان بعض القبائل المغربية القديمة أيضاً التساهل في أمور العِفة والعلاقات الزوجية من خلال عادة (الموارية) وملخصها بأن يقوم أصدقاء الشاب المقبل على الزواج باحتفاظهم بعروسهِ قبل أن يدخل بها لمدة من الوقت تُحدد وفقاً لجمال تلك الفتاة قبل ان يقومون بإعادتها الى زوجها، فضلاً عن إيناس ضيوفهم بنسائهم الأيامى كجزء من عادات إكرام الضيوف وفقاً لقناعتهم وبحسب ما جاء من روايات تاريخية (مؤلف مجهول، ١٩٨٦، ج١، ص١٩٢).

وانتشرت بين السكان آنذاك أعمال السحر والشعوذة بكثرة والتي كانت ذات وقع كبير في نفوس عدد من القبائل ومثالاً على ذلك ما كانت تقوم به الكاهنة من أعمال شعوذة إذ كانت تنثُر شعرها وتدق على صدرها وتخبرهم بأمور غيبية تنبؤية لم يألفوها سابقاً وهي في ذلك تسيطر على عقولهم وتسلب إرادتهم (ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص٣٧).

وتميز النظام الأسري المغربي قديماً بسيطرة الأم على الأسرة ودعوة أبناء تلك الأُسر بأسماء أمهاتهم وجداتهم وهذا ما يظهر من خلال أسماء عدد من القبائل المغربية مثل قبيلة صنهاجة وقبيلة لمطة فضلاً عن القبيلة المسماة ببني غانية (المراكشي، ٢٠٠٦، ص١٩٥؛ زغلول، ١٩٩٣، ج١، ص١١٦).

ولم تعرف المرأة المغربية على وجه العموم والبربرية على وجه الخصوص آنذاك الحجاب فقد امتازت بكونها سافرة بعكس الرجال الذين كانوا يتلثمون فلا يظهر منهم غير محاجر العينين (البكري، ١٩٩٢، ج٢، ص٨٦٥؛ محمود، ١٩٥٦، ص٤٩).

رابعاً/ زعامة وتسيُّد النظام القبلي عند المغاربة قبل الاسلام:

احتل النظام القبلي متمثلاً بالقبيلة قمة النظام السياسي والاجتماعي الذي عرفه سكان المغرب القدماء؛ والذي يمكن تشبيههُ بالبناء إذ يبتدئ بالقاعدة أو الأساس الذي تمثل بالأسرة (الخلية الأولى للقبيلة) المتكونة من الأب والزوجة الواحدة أو عدة زوجات فضلاً عن الأولاد الذين يطيعون والدهم حق الطاعة وينظرون اليه دائماً بعين الاحترام والإجلال ولا يؤولون أي تصرّف منه مهما كان تأويلاً غير حسِن؛ ثم يرتفع ذلك البناء الى المستوى الثاني وهو العشيرة التي تتضمن عدة أُسر ترجع في النسب الى جَدٍ واحد وترتبط فيما بينها بروابط قرابة وشيجة، ثم يرتقي البناء الى

مرتبة البطن الذي تجمع عشائره جوامع الصهر والجِوار والمنفعة المشتركة، لينتهي البناء في قمته بالقبيلة التي غالباً ما تحوي على عدد من البطون التي تجمع فيما بينها وحدة الدم والنسب، ونادراً ما تشمل القبيلة على بطن، أو أكثر كانت قد انحازت اليها وانضافت لها في أوقات متعددة ولأسباب مختلفة فأصبحت معدودة منها بحكم الحلف والولاء، هذا وكان للقبيلة عند أبناء المغرب قديماً ما للوطن من معنى عند الأمم والشعوب في عصرنا الحاضر كما ولها على أبنائها حقوق الاخلاص والدفاع والولاء ما للأوطان على ساكنها من مثل هذه الحقوق (منصور، ١٩٦٨، مقدمة المؤلف).

وتوزعت القبائل المغربية القديمة على جميع أقسام بلاد المغرب وأقاليمه وهنا سوف نذكر بعض الأمثلة نوضح من خلالها ذلك، ففي اقليم برقة المُحاذي لبلاد مصر سكنت قبيلة لواته في حين سكنت قبيلة نفوسة ضمن اقليم طرابلس وهنا نشير ان أحد جبال جنوب اقليم طرابلس اشتق اسمه من اسم هذه القبيلة؛ هذا وجاورت قبيلة نفوسة في السكن في اقليم طرابلس قبيلة هوارة (ابن خلدون، ٢٠٠٠، ج٦، ص١٣١).

أما قبيلة مطماطة فقد سكنت في جيوب ما عرف جغرافياً ببلاد الجريد*. هذا وقد أعطت هذه القبيلة اسمها الى جبل مطماطة (مؤلف مجهول، ١٩٨٦، ص١٥٠).

وسكنت في جبال اوراس الشرقية قبائل جرارة التي تُعد جزءاً من قبائل زناته؛ في حين سكنت جبال درن قبيلة مصمودة (زغلول، ١٩٩٣، ج١، ص٩٤-٩٧).

وفي جنوب ريف المغرب القديم سكنت قبيلة اوربة كما وسكنت المناطق الساحلية قبائل كل من دكالة وجدالة (زغلول، ١٩٩٣، ج١، ص٩٧-٩٨)، هذا وهناك العديد من القبائل الأخرى التي توزعت في كل أرجاء بلاد المغرب القديم.

كان لكل من القبائل المغربية القديمة محيطها الخاص بها الذي تعيش فيه منعزلة عن القبائل الأخرى أو شبه منعزلة يتزعمها رئيس يسمى (أمغار) تجتمع كلمتها عليه، كما ولها عرّاف

* بلاد الجريد: وهي إحدى مدن افريقيا القديمة وصفت بأنها محاطة بسور كما اشتهرت بكثرة التمور والزيتون. ينظر: (مؤلف مجهول، ١٩٨٦، ص١٥٠).

يُنبئها بالغيب ويؤول لها الأحلام فضلاً عن تفسيره ما في الظواهر الطبيعية من معانٍ خفية وأسرار، هذا وللقبيلة جماعة خاصة بها تنظر في المصالح وتحكم فيما ينجم بين أفرادها من خصومات وتُقرر في شؤون الحرب والسِلم والصلح والديات؛ وللقبيلة أيضاً قانون يُميز بين المسموح والممنوع ولها كذلك مخازن عمومية (مطامر) تُخزن فيها أقواتها وغلاّتها وأسواق اسبوعية، ولكل من القبائل مواسم خاصة بها وأعياد يظهرون فيها زينتهم ويتسابقون أثنائها في ميادين الفروسية ويتبارون خلالها في مجالس الغناء والرقص وغالباً ما كانت ترتبط تلك الاحتفالات والأعياد بغزارة الانتاج الزراعي ومواسمه، أما اذا أمحلت الأرض وأجدبت السنة اتجهت حينها القبيلة الى تقويض خيامها وشد رحالها لتجوب البلاد طولاً وعرضاً مفتشة عن الأراض الخصِبة والبقاع المُمرعة مزاحمة عليها غيرها حتى ولو أدى الأمر بها الى القتال (منصور، ١٩٦٨، مقدمة المؤلف).

أما عن لباس المغربي القديم فكان جُلة من جلود الحيوانات قبل أن يقوم بنسج الصوف؛ واستعمل اقراط الاذن وأكاليل الريش كنوع من الحلية كما تزينت نسائهم بالخِلخال، هذا واستخدم المغربي للدفاع عن نفسه اسلحة تطورت تباعاً بدءاً من الحجارة ثم الحربة فالقوس مروراً بالخنجر ثم السيف والدرقة (السائح، ١٩٨٦، ص٨٦-٨٧).

وتقاسم الرجل المغربي مع امرأته تدبير شؤون الأسرة فاختص هو بأمور الفلاحة والبناء والدفاع عن الأسرة والقبيلة أما امرأته فتخصصت بالطبخ والنسيج وبعض الأعمال اليدوية (السائح، ١٩٨٦، ص٨٧).

المبحث الثاني

الأوضاع الاقتصادية لبلاد المغرب قبل الفتح العربي الإسلام

أولاً/ النشاط الاقتصادي

١- الزراعة

عند الحديث عن حرفة الزراعة يمكن لنا تقسيم المجتمع المغربي القديم (اللاإسلامي) الى ثلاث طبقات تعتمد على نوعية وطبيعة المعيشة (مستقرة أم غير مستقرة) فضلاً عن نوعية المحصول الذي تتم زراعته فالطبقة الأولى وهي الأرقى وفقاً لكونها مستقرة السكن في القرى فهي تقوم بزراعة الحبوب (القمح والشعير) وكذلك الأشجار، أما الطبقة الثانية فهم سكان الواحات الذين

تخصصوا بزراعة أشجار النخيل عُرف عنهم الاستيطان الدائم في واحاتهم غير أنهم وبسبب التبادل التجاري المستمر مع بدو الصحراء المتنقلين حدثت علاقة ونوع من المزج بين الجماعتين أثرت على اكتسابهم للعادات والتقاليد الأمر الذي أدى الى تصنيف هذه الفئة من ضمن الطبقة الثانية، أما فيما يتعلق بالطبقة الثالثة (الأخيرة) فهم الذين جمعوا بين الزراعة لاسيما زراعة الحبوب وتربية الماشية سكنوا أصحاب هذه الطبقة في المناطق الصالحة للجمع بين الحرفتين (زغلول، ١٩٩٣، ج١، ص١٠١-١٠٢-١٠٣).

أما عن أهم محصول عرفه المغاربة القدماء فهو محصول الزيتون فقد كونت الزيتونة الغلة النقدية الأساسية للسكان الى أيام الفتح الاسلامي المبارك (ذنون، ٢٠٠٤ن ص٤٤)، وهنا نورد رواية تاريخية تبين ذلك مفادها ان عبد الله بن سعد بن أبي سرح (ت: ٣٦هـ/ ٦٥٦م) عند دخوله لتلك البلاد فاتحاً ذُهل من كثرة ما شاهده من ذهب وفضة سأل أهلها من أين لكم هذا؟ فجعل الرجل منهم يلتمس شيئاً من الأرض حتى بنواة زيتون، فقال: "من هذا أصبنا الأموال لأن أهل البحر والجزر ليس لهم زيت فكانوا يمتارونه من هنا". (ابن عذارى، ١٩٨٣، ج١، ص١٢).

اعتمد الفلاح المغربي القديم في زراعته على أدوات كالمحاريث التي تجرها الدواب لتهيئة الأراضي والمنجل والفأس والمذراة لغرس بذوره التي ينتظرها حتى تثمر وتنضج فيقوم بحصادها وفرزها وتجزئتها الى جُزئين الأول لأستهلاكه اما الثاني فيودع المطامر لتكون ذخراً له ولجماعته اذا ما احتاجوها في السنون العجاف (السائح، ١٩٨٦، ص٨٤).

وقد نشطت بعض المدن اقتصادياً أكثر من غيرها، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد مدينة شروس امتازت بكثرة زراعة الشعير والعنب والتين ومدية تلمسان التي اشتهرت هي الأخرى بالزرع والضرع وفيها الكثير من عيون الماء الأمر الذي ساهم بعملية نشاط الجانب الاقتصادي فيها (ذنون، ٢٠٠٤، ص٤٩).

تاجر المغاربة القدماء مع البلدان المجاورة لهم لاسيما بلاد مصر التي حُمَلت اليها الكثير من السلع والمواد التي كانت تفيض عن حاجتهم مثل زيت الزيتون المصدر الرئيسي لسكان المدن الساحلية والعسل والقار والأصواف فضلاً عن تجارة المواشي والأغنام (ذنون، ٢٠٠٤، ص٤٥-٤٩).

٢- مُربي الماشية (الرُعاة):

سوف نتحدث في هذا الجانب من البحث عن الرُعاة في بلاد المغرب القديم وكما قسمنا المزارعين عند حديثنا عن الزراعة الى ثلاث طبقات يمكن لنا هنا ايضاً أن نقسم الرعاة الى ثلاث طبقات ايضاً اعتماداً على نوع الحيوان الذي يقومون بتربيته فالطبقة الاولى هم المختصون بتربية الخيول وهنا نود أن نبين ان الخيل في بلاد المغرب القديم وصف بكونه أصغر حجماً من الخيل العربي كما وأطلق عليه اسم (برذون) جمعها براذين (ابن حوقل، ١٩٣٨، ص٩٧).

أما الطبقة الثانية من الرعاة فهم مربوا الغنم أو (الشاوية) نسبةً الى تربيتهم للشاة (ابن خلدون، ٢٠٠٤، ج٢، ص١٧) والذين عُرف عنهم انتشارهم في جميع أقسام المغرب القديم متنقلين بين مراعيه المرتفعة والمنخفضة بحثاً عن العُشب والدفء الضروري لحيواناتهم (زغلول، ١٩٩٣، ج١، ص١٠٤).

في حين اختصت الطبقة الثالثة من طبقات الرعاة المغاربة في تربية الإبل والجمال والذين سكنوا الصحراء في الغالب حيث النباتات الصالحة لرعي هذا النوع من الماشية (زغلول، ١٩٩٣، ج١، ص١٠٤).

وهنا نود أن نُشير الى ان موضوع دخول حيوان الجمل الى المغرب واستخدامه من قبل السكان موضع اختلاف بين آراء المختصين فنجد البعض يذكر ان هذا النوع من الماشية دخل الى البلاد عن طريق البربر في حدود القرن الأول الميلادي، غير أن رأي آخر يقول ان أول من أدخل هذا الحيوان هم الرومان عندما حكموا البلاد إذ كان هذا الحيوان من جملة الحيوانات التي أدخلوها خدمةً ومصلحةً للبشر، في حين نجد رأي آخر مغاير للرأيين السابقين يقول ان حيوان الجمل قديم العهد في بلاد المغرب ولم يرتبط وجوده لا بالبربر ولا بالرومان (العروي، ١٩٩٦، ص١٠٩).

ونحن نرجح الرأي الأخير لطبيعة المنطقة الجغرافية ذات التلاؤم والتناغم مع معيشة الجمال.

ثانياً/ النشاط العُمراني

وهنا سوف نُبين ما كان عليه هذا المجال لاسيما فيما يتعلق ببناء المدن وتوسيعها قبل دخول الإسلام الى تلك البلاد وتأثرها بفن العمارة الاسلامية، فقد تأثر بحضارات قديمة سبقت

الاسلام الى تلك لبلاد وحكمت فيها كالفينيقيين والقرطاجيين والرومان والوندال والبيزنطيين ويتجسد ذلك التاثير من خلال اقامة عدة مدن بأنماط حضرية معينة وأنماط مقتبسة من مدن تلك الاقوام الحاكمة ومن هذه المدن قرطاج وسيرته وقسطينة وغيرها (الطائي، ٢٠٠٩، ص٢٧- ٣٧).

أما عن أقدم المدن التي أُنشئت في بلاد المغرب قبل الاسلام فهي مدينة قرطاجة(*) ذات الموقع الممتاز الواقع على ضفة خليج منفتح على بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)، إذ كان لهذا الموقع أهمية كبرى من خلال استطاعة تلك المدينة تحكمها بمدخل بحر الروم فضلاً عن سيطرتها على السهول الواقعة في بلاد تونس والتي تُعد من أكبر المساحات الزراعية في شمال افريقيا، كما عُدت مدينة قرطاجنة إحدى عواصم العالم القديم (الطائي، ٢٠٠٩، ص٣٧-٦٤).

عمل الفينيقيون بوصفهم أحد أقدم الأقوام التي حكمت بلاد المغرب القديم على اختيار أفضل المواقع لإقامة مدنهم لاسيما على الساحل الشمالي لافريقيا؛ إذ كان الهدف الرئيسي من إقامتهم للمدن في تلك الأماكن هو التجاري، هذا وروعي في بناء تلك المدن من حيث التخطيط أن تكون مسورة لغرض الحماية أما من الناحية الادارية فقد حرصوا على أن تكون كل من مدنهم مستقلة عن الأخرى يحكمها ملك خاص بها، كما وعُرف عن الفينيقيين من خلال آثارهم العمرانية عدم رغبتهم في توسيع نطاق نفوذهم نحو الداخل أي اليابس بل انهم حاولوا اقامة مستوطنات عبر البحار على حدٍّ ما ذكرت المعلومات التاريخية ليتمكنوا من خلالها انشاء أسواق تجارية (العميد، ١٩٨٩، ص٦٤).

أما أبان السيطرة الرومانية على تلك البلاد فقد أنشأوا هم أيضاً مدن ساحلية وداخلية وفي كافة أنحاء المغرب هذا واختاروا في أغلب الأحيان نفس المواقع التي سبقهم في اختيارها اسلافهم في تلك البلاد (الفينيقيين) (العميد، ١٩٨٩، ص٢٥).

* قرطاجة: وهي المدينة التي انشأت عام ٨١٤ ق.م بإشراف الأميرة الفينيقية عليشة، وتقع ضمن حدود تونس الحالية، أما معنى اسمها باللغة الفينيقية فهو القرية الحديثة، كما وعُرفت عند الأغريق باسم قرطاجنة. ينظر: (المدني، ١٩٩٦، ص٢٥).

انتشرت المدن الرومانية في بلاد المغرب القديم في أربع ولايات رئيسية بحسب التقسيم الروماني الإداري وهي ما عرف اصطلاحاً ولاية موريطانية الطنجية وولاية موريطانية القيصيرية الواقعتان ضمن غربي الجزائر الحالية والمغرب الأقصى ويفصل بين الموريطانيتين نهر يسمى ملوية وولاية نوميديا الواقعة ضمن شرق الجزائر فضلاً عن ولاية افريقيا التي كانت تمتد من مدينة طرابلس حتى مدينة عناية شمال شرق الجزائر (العميد، ١٩٨٩، ص٢٥).

ومما تقدم يتضح ان المدن والتجمعات السكانية المغربية الاسلامية كانت تسير بشكل عكسي مع الداخل الصحراوي وبعبارة أخرى انها كانت تتناقص كلما اتجهنا نحو داخل البلاد على عكس المناطق الساحلية المعمورة والمأهولة سكانياً، هذا وقد وجد المسلمون حين دخولهم الى بلاد المغرب الحياة المدنية في المناطق الساحلية بعكس المناطق الداخلية التي سادتها الحياة البدوية؛ ومن ذلك نستطيع ان نذكر هنا ان أغلب المدن المغربية الداخلية شيدت ودَبت الحياة فيها وانتعشت بعد دخول الاسلام وانتشاره في اقاليم المغرب (زكار، ١٩٩٥، ج٢، ص٨-٩).

المبحث الثالث

الأوضاع السياسية لبلاد المغرب قبل الفتح الاسلامي

تعاقب السيطرات الأجنبية على البلاد

خضعت بلاد المغرب الى عدة سيطرات أجنبية غريبة عنها قبل أن يدخلها الاسلام وهذه السيطرات وفقاً للتدرج الزمني هي:-

١- السيطرة الفينيقية:

كان الدافع الأكبر للتوسع الفينيقي والسيطرة على بلاد المغرب هو الدافع التجاري البحت فقد اشتهر الفينيقيون بمعرفتهم الكبيرة بالتجارة والتي عُززت بشكل كبير من خلال قدرتهم الفائقة على ركوب البحر مما أمكنهم للوصول الى مناطق شتى منها الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وبما ان بلاد المغرب هي ضمن الدول الواقعة في ذلك الحوض فقد كانت مجالاً للسيطرة الفينيقية (غانم، ١٩٧٩، ص٥٩-٦٩-٧٠).

وعليه فقد أدت الرغبة الفينيقية في البحث عن أسواق جديدة لتصريف منتجاتهم من جهة والحصول على بعض المواد الخام والمعادن التي كنت في طلب متزايد عليها من جهة اخرى حافزاً للانطلاق بتوسعاتهم الشرقية أو حتى الغربية (عصفور، ١٩٨١، ص٥٣).

وهناك ثمة عامل آخر ساهم في اندفاع الفينيقيين صوب بلاد المغرب تمثل في أن أغلب المدن الفينيقية لم تكن تعيش وقتذاك حياة آمنة مطمئنة تتناسب مع تطورها التجاري والاقتصادي والسبب يرجع في ذلك الى تعاظم سلطة الدولة الآشورية في أماكن استيطان الفينيقيين الشرقية الأمر الذي أجبر الأخيرين من البحث عن أماكن استيطان جديدة (تسيركين، ١٩٨٨، ص٢٧).

أما عن طبيعة العلاقة ما بين سكان بلاد المغرب والوافدين الجُدد (الفينيقيون) فقد وصفت بأنها سلمية اتسمت بالصداقة والود مبنية على المصالح المتبادلة لاسيما التجارية الأمر الذي شجع الفينيقيون على الاستقرار في البلاد (غانم، ١٩٧٩، ص٧١).

أما عن أبرز الآثار العمرانية لتوسع الفينيقيين في منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط فكان بناؤهم لمدينة قرطاجة ذات الموقع التجاري المتميز والذي كان له الدور الكبير في أن تلعب تلك المدينة دوراً هاماً على الصعيد الاقتصادي والسياسي إذ تزعمت السيادة البحرية فضلاً عن سيطرتها السياسية على ذلك الحوض، ولم يكن القرطاجيون في أول أمرهم يهتمون بالزراعة ولا بالصناعة بقدر ما اهتموا بالتجارة التي درت عليهم أرباحاً طائلة من خلال قيامهم بإيصال خامات المعادن كالفضة والرصاص والقصدير الى الدول التي تحتاجها في الشرق المتوسط ثم نقل السلع المُصنعة من تلك الدول الى الشعوب التي تحتاجها، هذا وقد استخدم القرطاجيون نظام المقايضة في عملياتهم التجارية (غانم، ١٩٧٩، ص١١٣).

وهنا تجدر الاشارة الى أن بظهور مدينة قرطاجة ظهر على الوجود أول كيان سياسي مكتمل الشروط في بلاد لمغرب (شنيتي، ١٩٨٥، ص١٧).

٢- سيطرة الرومان:

كان مصير قرطاجة التدمير الوحشي الشامل الإزالة من الوجود على يد الرومان عام ١٤٦ ق.م بعد حرب بين الطرفين سميت بالحرب البونية (المدني، ١٩٨٦، ص٧٥).

بعدها أصبحت روما هي الوحيدة التي تمتلك القوة السياسية والعسكرية في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط الغربي الأمر الذي سهّل لها السيطرة على أغلب الطرق البحرية وفتح المجال أمام تُجارها للولوج الى كافة موانئ ذلك لحوض بما في ذلك الأراضي المغربية واغراق اسواقها بالمنتجات الرومانية لاسيما الخمور والخزف الروماني ذات البريق الأسود (القبلي، ٢٠١١، ص١٠٥-١٠٦).

اختلفت المعاملة والعلاقة الرومانية مع سكان بلاد المغرب عن معاملة أسلافهم (الفينيقيين) فقد ارتكزت تلك المعاملة والعلاقة على المصلحة الرومانية ولاسيما التجارية (شنيتي، ١٩٨٥، ص٥٧).

وعليه فلم يُعِر الرومان أيةُ اهتمام للسكان الأصليين بل راحوا يستغلون الأراضي ويستنزفون الموارد بشكل مفرط مقابل حرمان الأهالي من ذلك كله قاصدين من ذلك الى تحويل البلاد الى مستعمرة تخدم اقتصاد روما وتشجع رغبتها العسكرية ودليلاً على ذلك الآثار الشاهدة على هذا لاسيما القلاع الرومانية العسكرية؛ فضلاً عن ان بلاد المغرب راحت تُعرف بالمصطلح الروماني القديم بأنها اهراء روما للقمح (غانم، ١٩٧٩، ص١٠٣)، اي مخازن قمح روما.

٣- سيطرة الوندال (*):

كانت الامبراطورية الرومانية قد انشطرت الى قسمين الأول شرقي عاصمته القسطنطينية أما الثاني فهو غربي عاصمته روما وبما ان بلاد المغرب كانت تحت حكم الرومان عانت هي الأخرى من التوترات وبعض الارباكات الأمر الذي استغله الوندال فنفِذ هؤلاء عبر مضيق جبل طارق ليستولوا على حكم بلاد المغرب (العروي، ١٩٩٦، ص١٠٥).

(*) الوندال: وهم من الشعوب الجرمانية، عبروا من اسبانيا الى الشمال الافريقي عام ٤٢٨م ليسكنوا في المنطقة الممتدة من مدينة طرابلس الى مدينة سبتة غرباً. ينظر: (عمران، ١٩٨٥، ص٥).

وهناك من يرى ان صراعات القادة العسكريين الرومان هي من أتاحت الفرصة وفتحت الأبواب لدخول هؤلاء الى المغرب عن طريق الاتفاق معهم على ذلك من اجل استخدامهم كورقة ضغط وعنصر مساعدة من قبل البعض على البعض الآخر (عمران، ١٩٨٥، ص٢٤).

اعتبر الوندال انفسهم ورثة الرومان في بلاد المغرب في كل شيء كما انهم أبقوا على تنظيمات الرومان هناك ولم يغيروا شيئاً، هذا وقد واجهوا عدة مخاطر متمثلة بهجمات البربر الداخلية من جهة وخطر الامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطيون) التي كانت تتلقى مطالب مُلحة من قبل رجال الدين والكنيسة الكاثوليكية لحثها على انقاذهم من سيطرة الوندال الأمر الذي شجع الجيش البيزنطي لمحاربة الوندال عام ٥٣٣م والقضاء عليهم نهائياً في المغرب (العروي، ١٩٩٦، ص١٠٧)

وبناءً على ما تقدم نستطيع أن نوجز بأن الحكم الوندالي للمغرب دام نحو مئة سنة ولم تكن العلاقة أثنائها بين الحاكم والمحكوم جيدة والدليل الهجمات التي تعرضت لها السلطة الوندالية من قبل سكان البلاد الأصليين.

٤- عودة السيطرة الرومانية:

عادت السيطرة على بلاد المغرب الى الرومان من جديد ولكن هذه المرة تحت مسمى الامبراطورية البيزنطية التي أخذت على عاتقها القضاء على حكم الوندالين هناك.

عندها حاول البيزنطيون اعادة احياء النظام الاجتماعي الروماني البائد فقد عاد معها الكثير من الملاكين القدامى وعلى رأسهم زعماء الدين (رؤساء الكنيسة) الذين منحوا الحق في المطالبة بأملاكهم وعقاراتهم (بحسب تصورهم) حتى وان كانت تحت تصرف غيرهم لمدة تجاوزت الثلاثة أجيال، وبذلك حل الغالب محل المغلوب في المال والعقار والجاه (العروي، ١٩٩٦، ص١٠٧).

خضعت بلاد المغرب أثناء هذه الفترة من الناحية النظرية الى حكم امبراطور بيزنطة يوسطنيان (٥٢٧- ٥٦٥م) أما من الناحية العملية فسيطر عليها كل من كبار الموظفين وضباط الجيش البيزنطي الذين تمكنوا من البلاد أكثر بعد وفاة يوسطنيان فأصبحوا هم أصحاب الحلِ والعقد في تلك البلاد وما آثار التحصينات الكثيرة حول المدن الا دليل على تفتت السلطة المركزية واستغلال الملاكين البيزنطيين بمختلف صفاتهم بمناطقهم واستغلالها (العروي، ١٩٩٦، ص١٠٨).

وصفت البلاد أثناء الحكم البيزنطي بأنها اقليم عامر فيه الكثير من المدن والأراضي المزروعة فضلاً عن الموانئ؛ كما وانتشرت المسيحية بين السكان باستثناء البربر الذين ظلوا على وثنيتهم والذين امتازت علاقاتهم مع السلطة الحاكمة بأنها سطحية لا عميقة وبهذا فصل الفاتحون المسلمين في مواجهاتهم العسكرية خلال مدة الفتح بين الطرفين فنجدهم اصطدموا مع الروم أولاً ثم واجهوا البربر ثانياً (مؤنس، ٢٠٠٤، ص٣٣).

وعلى اثر التفت الذي أصاب الامبراطورية البيزنطية استطاع احد البطارقة* وهو غريغوريوس الذي أطلق عليه العرب اسم جرجير، ان يستقل بحكم بلاد المغرب عن سلطة الامبراطورية ضناً منه بإمكانية انشاء دولة خاصة به مقرها داخلي بعيداً عن الساحل المُعرض لضربات الاسطول الامبراطوري وبخاصة ان العلاقة ما بين غريغوريوس والامبراطورية قد اصابها التوتر والخصام على اثر تصرف الأول، ولذلك احتمى في بُليدة داخلية ذات حصن منيع تسمى سبيطلة جنوبي مدينة القيروان الحالية فاطمأن فيها برهة من الزمن حتى بدأت أقدام طلائع الجيوش العربية الاسلامية تطأ أرض تلك البلاد عام (٢٢هـ/ ٦٤٣م) (مؤنس، ٢٠٠٤، ص٣٣)، لتُشرِق الأرض بنور ربها.

الخاتمة:

ونود في ختام بحثنا ان نُسجل عدد من النتائج التي توصلنا اليها وهي كما يلي:

١- لم يحسم الباحثون أصل تسمية (المغرب) فقد تعددت الآراء في ذلك غير أن جُلها نسب الاسم الى الموقع الجغرافي.

٢- ينقسم سكان المغرب الى فئتين هما السكان الأصليين ويتمثل في البربر (الأمازيغ) أما الفئة الثانية فتمثلت بالسكان الطارئين وشملت كل الجماعات التي دخلت تلك البلاد واستقرت فيها.

* البطارقة: جمع بطريق وهو لقب يدُل على مرتبة رفيعة غير وراثية أطلقت على القادة الروم وكان أول من أطلقها الامبراطور البيزنطي قسطنطين (٢٧٢-٣٣٧م). ينظر: (المقدسي، ١٩٩٧، ج١٣، ص١٩٩؛ المعلوف، ١٩٢٩، ص٧).

٣- عاش المجتمع المغربي قبل أن يتعرف على الإسلام حياة اعتقدت بالوثنية شابتها الكثير من الطقوس الغريبة فضلاً عن ايمانها الكبير بأعمال السحر والشعوذة.

٤- ترأس النظام السياسي والاجتماعي المغربي القديم (القبيلة) التي كان لها محيط جغرافي يعزلها عن محيط غيرها من القبائل تمارس فيه حياتها السياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية فهي عبارة عن دولة مصغرة.

٥- مارس المغاربة القدماء أنشطة اقتصادية منها ما هو زراعي وآخر تجاري فضلاً عن النشاط الرعوي.

٦- تعاقبت على حكم البلاد عدة سيطرات أجنبية مختلفة العروق غير انها موحدة الايديولوجية إذ انها هدفت للتوسع التجاري السياسي.

٧- يمكن القول بعد ما سبق من نتائج ان ارض المغرب كانت بانتظار المُنقذ الذي سوف ينتشلها من حياة العبث الى حياة الهدف إذ تجسد ذلك المنقد بالإسلام.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً- المصادر العربية

١- البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي، د.م، ١٩٩٢.

٢- الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.

٣- ابن حوقل، محمد بن حوقل (ت: ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م) صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ١٩٣٨م.

٤- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠.

٥- ابن عذاري، محمد بن محمد (ت: ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط٣، تح: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣.

٦- العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) مسالك الأبصار في ممالك الامصار، المجمع الثقافي، ابو ظبي، ٢٠٠٢.

٧- المالكي، عبد الله بن محمد (ت: بعد ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوش، محمد العروسي المطوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

٨- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت: ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.

٩- المقدسي، موفق الدين عبد الله بن محمد (ت: ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)، المغني، ط٣، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، عبد الفتاح محمد الحلو، عالم الكتب، الرياض، ١٩٩٧م.

١٠- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.

ثانيا/ المراجع

١- الحسني، عبد الله كنون، مدخل الى تاريخ المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٧م.

٢- خطاب، محمد شيت، قادة فتح المغرب، دار الفكر، د.م، ١٩٨٤م.

٣- ذنون، عبد الواحد الفتح والاستقرار العربي الاسلامي في شمال افريقيا والأندلس، دار المدار، بيروت، ٢٠٠٤.

٤- ذنون، عبد الواحد، وآخرون، تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٤.

٥- زغلول، سعد عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، معارف الاسكندرية، مصر، ١٩٩٣.

٦- زكار، سهيل، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (المغرب والأندلس والبحر المتوسط)، د.م ط، دمشق ١٩٩٥م.

٧- سالم، عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٩م.

٨- السائح، الحسن، الحضارة الاسلامية في المغرب، ط٢، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.

٩- السلاوي، شهاب الدين أحمد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء، د.ت.

١٠- شنيتي، محمد البشير، الاحتلال الروماني لبلاد المغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥م.

١١- الطائي، أياد عاشور، تخطيط المدن في المغرب العربي، دار دجلة، د.م، ٢٠٠٩م.

١٢- ابن عبد الله، عبد العزيز، معطيات الحضارة المغربية، دار الكتب العربية، الرباط، ١٩٦٣م.

١٣- العروي، عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٦م.

١٤- عصفور، محمد ابو المحاسن، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

١٥- عمران، محمود سعيد، مملكة الوندال في شمال افريقيا، دار المعارف، د.م، ١٩٨٥م.

١٦- العميد، طاهر مظفر، آثار المغرب والأندلس، دار الكتب للطباعة، الموصل، ١٩٨٩م.

١٧- غانم، محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، ١٩٧٩م.

١٨- القبلي، محمد، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، مطبعة عكاظ الجديدة، الرباط، ٢٠١١.

١٩- محمود، حسن أحمد، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

٢٠- المدني، أحمد توفيق، قرطاجنة، في اربعة عصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م.

٢١- المعلوف، عيسى اسكندر، ملخص ترجمة غريغوريوس، د. م ط، بيروت، ١٩٢٩م.

٢٢- ابن منصور، عبد الوهاب، قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٨م.

٢٣- مهران، محمد بيومي، المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٠م.

٢٤- مؤنس حسين، فتح العرب للمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

مؤنس حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، د.م، ٢٠٠٤.

ثالثاً/ المراجع الأجنبية المترجمة

١- تسيركين، يولي، بركوفيتش، الحضارة الفينيقية في اسبانية، ترجمة: يوسف ابي فاضل، جروس برس للطباعة، لبنان، ١٩٨٨م.

رابعاً/ البحوث

١- السعيد، سعيد بن فايز، الجذور التاريخية للهجرات العربية الى المغرب العربي، بحث منشور ضمن مجلة بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول، تونس، ٢٠٠٣.